مؤتمر الرياض وتحديات الواقع الراهن

الباحث الصحفي : يحيى الحاج نعسان

تاريخ النشر : الثلاثاء /١٥/١٢/٢٠١٥

أولا - مدخل:

تلوح في الأفق السوري سياسيا وعسكريا مرحلة جديدة بعد مؤتمر الرياض، الذي جمع لأول مرة منذ انطلاق أحداث الثورة في ربيع ٢٠١١ معظم وأبرز قوى المعارضة السياسية (الداخلية والخارجية) كما تسمى، وجميع الفصائل العسكرية في سورية في جسم واحد عدا "جبهة النصرة وتنظيم الدولة الإسلامية" المصنفان على لوائح الإرهاب .

هذه المرحلة الجديدة ستبدأ عقب اجتماع "نيويورك" أو" فيينا"، مع بداية العام الجديد لاستكمال ما تمّ البدء والاتفاق عليه في مؤتمر فيينا الأخير بين الدول الكبرى والإقليمية (أمريكا- روسيا- السعودية - إيران - تركيا- قطر - مصر - الأردن وغيرهم..)، وقد استطاع مؤتمر الرياض أن ينجز ما هو مطلوب منه لناحية توحيد المعارضة كما أسلفنا من حيث توقع الكثيرون فشل المؤتمر بذلك.

وفي هذا الخصوص كتب الصحفي البريطاني "جيم موير" مراسل "بي بي سي" في بيروت قائلا :" تجاوز مؤتمر الرياض توقعات كثيرين اعتقدوا أنه سيقع تحت وطأة تناقضات التباين السياسي والجماعات المتحاربة المشاركة، والتي قاطع الكثير منها جهود التسوية السابقة ورغم استمرار تلك التناقضات إلا أنّه تمّ استبعادها في تعهد مشترك لرؤية تعددية ديمقراطية شاملة في سوريا"، إلا أنّه اعتبر أنّ -وثيقة الرياض- ستكون لعنة على الكثير من الجماعات الإسلامية المتشددة التي تقاتل.(١)

ثانيا - أهمية مؤتمر الرياض

بداية فقد أعاد مؤتمر الرياض المملكة العربية السعودية إلى موقع رأس الحربة في المسألة السورية خاصة وأنّ هيئة التفاوض العليا التي انبثقت عن المؤتمر سيكون مقر إقامتها في السعودية وليس في أي بلد آخر ، كما تنبع أهمية مؤتمر الرياض من مسألتين أساسيتين:

أ- جسم سياسي واحد

استطاع مؤتمر الرياض ولأول مرة من جمع الغالبية العظمى من أطياف المعارضة السورية وبمختلف توجهاتها السياسية والعسكرية وانتمائتها العرقية والطائفية في جسم سياسي واحد ، حتى تلك التي يسميها نظام الأسد في سورية معارضة وطنية وقد كانت مقبولة منه إلى ما قبل موافقتها على وثيقة الرياض النهائية ، وما كان ذلك ليحدث أيضاً لولا أنّ هناك مؤشرات توافق كبيرة بين الدول الرئيسة الداعمة للثورة وهي (السعودية وتركيا وقطر).
وقد ضمّ الجسم السياسي الواحد الذي أطلق عليه مسمى هيئة التفاوض العليا حسب التوجهات السياسية والعسكرية القوى التالية :(٢)

١- ممثلين عن الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية (٩) أعضاء
٢- الفصائل العسكرية وتضم ممثلين عن فصائل المنطقة الجنوبية والمنطقة الشمالية وجيش الإسلام وأحرار الشام (١١) عضو.
٣- هيئة التنسيق ممثلة ب(٦) أعضاء
٤- شخصيات مستقلة وتعبر بشكل أكبر عن التوجه الديمقراطي وتضم (٨) أعضاء

كما ضمّ مؤتمر الرياض /١٠٣/ أعضاء والذين انبثقت عنهم الهيئة العليا للتفاوض وقد مثلوا جميع مكونات الشعب السوري العرقية والدينية والمذهبية .

ب- وثيقة مبادئ مشتركة

يمكن حصر النقاط الأساسية لوثيقة الرياض إذا جازت التسمية بثماني نقاط رئيسة وهي

١- سورية دولة مدنية تلتزم بآلية الديمقراطية للوصول إلى نظام تعددي يمثل جميع أطياف الشعب السوري.
٢- التمسك بوحدة الأراضي السورية والسيادة التامة بمبدأ اللامركزية الإدارية.*
٣- رفض الإرهاب بأشكاله كافة بما فيه إرهاب النظام وميليشياته الطائفية.
٤- رفض وجود جميع المقاتلين الأجانب على الأرض السورية بما في ذلك من تمّ تجنيسهم.
٥- تأسيس نظام سياسي جديد في سورية لا يكون لبشار الأسد وزمرته أي دور فيه.
٦- الحفاظ على مؤسسات الدولة السورية مع ضرورة إعادة هيكلة وتشكيل الأجهزة الأمنية والعسكرية
٧- احترام مبادئ حقوق الإنسان والمساءلة والشفافية والمحاسبة وسيادة القانون على الجميع.

٨- الموافقة على الدخول بمفاوضات مع ممثلي النظام في سورية وذلك استناداً إلى بيان جنيف١ والقرارات الدولية ذات العلاقة وبرعاية وضمان الأمم المتحدة وبدعم المجموعة الدولية (ISSG) الخاصة بدعم سورية وخلال فترة زمنية محددة.

وفي ٢٠١١/٨/١٨ تشكلت الهيئة العامة للثورة السورية في تركيا وضمت أكثر من أربعين جماعة معارضة أبرزها اتحاد تنسيقيات الثوار ووضعت آنئذ ستة مبادئ سميت بمبادئ الهيئة العامة للثورة السورية وهي :(٣)

١- الالتزام بإسقاط النظام السوري اللاشرعي وبناء دولة مدنية ديمقراطية وتحقيق تطلعات الشعب السورية بالحرية والكرامة والمساواة وحترام حقوق الإنسان

٢- الالتزام بمبادئ الثورة الأساسية وهي الوحدة الوطنية وسلمية الثورة لا طائفيتها.

٣- الثورة عمل وطني ينجزه السوريون بقواهم وقدراتهم

٤- الثورة الشعبية هي مصدر الشرعية السياسية في البلاد

٥- وحدة سورية أرضا وشعبا

٦- الثورة السورية ثورة شعبية سلمية وليست تحت أي مظلة أيديولوجية دينية أو سياسية .

وبمقارنة بسيطة بين وثيقة الرياض ومبادئ الثورة السورية رغم فارق الخمس سنوات بين الوثيقتين يمكن القول أنّه لا يوجد أي بند مخالف لمبادئ الثورة المذكورة ، وإنما هناك زيادة بعض البنود في وثيقة الرياض لا تناقض بمضمونها أيضا المبادئ الثورية.

وفي هذا السياق يمكن مقارنة وثيقة الرياض أيضا بالمبادئ الثورية الخمسة التي صدرت حديثا في ٢٠١٥/٩/١٩ من قبل المجلس الإسلامي السوري ووقعت عليها نحو ٧٤ جهة ثورية في سورية و٥٢ شخصية والمبادئ هي :(٤)

١- إسقاط بشار الأسد وكافة أركان نظامه، وتقديمهم للمحاكمة العادلة

٢- تفكيك أجهزة القمع الاستخباراتية والعسكرية، وبناء أجهزة أمنية وعسكرية على أسس وطنية نزيهة، مع المحافظة على مؤسسات الدولة الأخرى

٣- خروج كافة القوى الأجنبية والطائفية والإرهابية من سوريا، ممثلة بالحرس الثوري الإيراني، وحزب الله، وميليشيا أبي الفضل العباس، وتنظيم الدولة

٤- الحفاظ على وحدة سوريا أرضًا وشعبًا واستقلالها وسيادتها وهوية شعبها

٥- رفض المحاصصة السياسية والطائفية

وبمقارنة بسيطة يتضح أنّ المبادئ الثورية الخمسة موجودة كاملة وكما هي تقريبا في وثيقة الرياض.

وبناء عليه يمكن اعتبار أنّ مؤتمر الرياض ووثيقته قد حافظا على مبادئ الثورة وزخمها وعززا عليها دعما دوليا متمثلا بالحد الأدنى بالتوافق السعودي التركي القطري على هذه المبادئ .

ملاحظة : لم تحدد وثيقة الرياض شكل نظام الحكم في سورية ، وإنما تركت ذلك لاختيار الشعب السوري وحددت فقط الآلية لذلك وهي الديمقراطية ، وقد اقتضى التنويه لأنّ كثير من التغريدات عبر التويتر والردود المختلفة عبر وسائل التواصل الاجتماعي تعتقد أنّ وثيقة الرياض تقول بدولة علمانية وهو ما لم يرد ذكره أبداً.

ثالثا- تحديات مؤتمر الرياض في ضوء الواقع الراهن

قبل الخوض في غمار التحديات التي ستواجه مؤتمر الرياض لابد من الحديث عن الواقع الراهن والمواقف الدولية ومواقف قوى محلية أخرى قد يكون لها تأثير لناحية إنجاح أو إفشال المؤتمر .
نستعرض بداية أهم المواقف من المؤتمر:

آ- مؤيدو المؤتمر

تعتبر تركيا وقطر في مقدمة الدول المؤيدة لمؤتمر الرياض ومفرزاته وهما يشكلان مع السعودية المثلث الدولي الأقوى في دعم قوى الثورة والمعارضة السورية .
ورحبت كل من الجامعة العربية ومصر وألمانيا وفرنسا وبريطانية وكذلك الولايات المتحدة الأميركية المتحدة بنتائج المؤتمر حيث اعتبر البيان الصادر عن وزير الخارجية الأميركي جون كيري أنّه من الإيجابي إجماع المعارضة حول مبادئ سورية تعددية وديمقراطية وأنّ تضع مجموعات المعارضة السورية المتنوعة خلافاتها جانبا من أجل بناء سورية جديدة.

كما أيدت جماعة الأخوان المسلمين في سورية نتائج المؤتمر مع بعض التحفظات حول التمثيل وآليات التعامل مع الأجهزة الأمنية والعسكرية مؤكدين دعمهم لمخرجات هيئة التفاوض المنبثقة عن المؤتمر طالما التزمت بالثوابت الوطنية التي تمّ التوافق عليها في وثيقة الرياض.(٥)

ب- معارضو المؤتمر

سارع نظام الأسد في سورية وفي نفس توقيت مؤتمر الرياض إلى عقد مؤتمر في دمشق لمعارضته الداخلية تحت عنوان" صوت الداخل" ومما يجدر ذكره عدم مشاركة التياران الرئيسان والأكبر في المعارضة المسماة بالوطنية وهما هيئة التنسيق وتيار بناء الدولة وقد شاركا في مؤتمر الرياض وكان لهما تمثيل من سبعة أعضاء في هيئة التفاوض العليا.

واقتصرت المشاركة في مؤتمر المعارضة الداخلية فقط على أحزاب صغيرة تسمي نفسها معارضات طبعاً معظمها أحزاب جديدة لا يزيد عدد أعضاء أحدها عن المئتي شخص وهذه الأحزاب هي :(حزب الشعب ، هيئة العمل الوطني الديمقراطي، الشباب الوطني ،التضامن العربي الديمقراطي ، سورية الوطن) جميع هذه الأحزاب نشأت بعد النصف الثاني من العام ٢٠١٢ وفقا للدستور الجديد الذي سمح لمن يريد بإنشاء حزب على أن لا يقل عدد أعضائه عن الخمسين وليس هذا مجال البحث به حاليا.(٦)

المهم أنّ نظام الأسد لم يوفر طريقة لإفشال مؤتمر الرياض إلا أنّه لم يتبنى موقفا رسميا رافضا لأنّه لا يستطيع ذلك لأنّ جمع المعارضة في جسم واحد كان أحد مطالب مؤتمر فيينا التي وافقت عليه روسيا لتشكيل وفد للتفاوض مع النظام.

بدورها أعلنت إيران رفضها العلني لمؤتمر الرياض بدعوى أنّ مجموعات إرهابية على صلة بتنظيم الدولة الإسلامية شاركت فيه.

فيما جاء موقف روسيا مواربا حيث لم ترفض ما جاء بمؤتمر الرياض إلا أنّ وزارة خارجيتها قالت : لا يمكن حصر الإرهاب بالقاعدة وتنظيم الدولة فقط، فهناك مجموعات "إرهابية" أخرى يجب تحديدها ومن ضمنها تلك التي قتلت طيارنا شمال سوريا.

وقد أعلن رئيس تيار قمح هيثم مناع عن انسحابه من مؤتمر الرياض بسبب عدم دعوة الجيش السوري الديمقراطي والحزب الديمقراطي الكردي إلى المؤتمر ، واصفا المؤتمر أنه يضم فصائل متهمة بالإرهاب.

كما اعترضت جبهة النصرة ذراع القاعدة العسكري في بلاد الشام على مؤتمر الرياض معتبرة أنّه مؤامرة وجاء ذلك على لسان قائدها العام أبو محمد الجولاني في مؤتمر صحفي.(٧)

إذا التحدي الأول الذي سيواجه مؤتمر الرياض سيكون من أميركا والتي رغم ترحيبها بنتائج المؤتمر واعتباره إيجابيا إلا أنّ وزير خارجيتها نفسه الذي رحب، قال في مؤتمر صحفي من أثينا : «ليس واضحاً بعد ما إذا كان يتعين على الرئيس السوري بشار الأسد الرحيل أولاً لتأمين وجود تعاون بين المعارضة المسلحة والجيش السوري لمحاربة تنظيم داعش».

إذا التحدي سيكون في محورين أساسين : الأول مع حلفاء النظام وهم الروس والإيرانيون غير المتحمسين أصلاً لاجتماع الرياض ونتائجه، والذين سيشكّكون فيه ويحاولون مرة أخرى نفي صفة التمثيل والاعتدال عنه، ومع الحلفاء المترددين والحائرين(أمريكا) الذين يقولون كلاماً غير واضح مثل تصريح كيري أعلاه .

ويوجد تحدي آخر يمكن تسميته بالتحدي الخفي وهو توقيع بعض الفصائل على وثيقة الرياض في آن ويجمعها علاقات ومصالح مشتركة مع "جبهة النصرة" التي رفضت المؤتمر علانية في نفس الوقت وخاصة في إدلب حيث يجمع جيش الفتح عدد من الفصائل الموقعة على وثيقة الرياض مع جبهة النصرة ضمن تحالف كبير وذلك منذ تأسيس الجيش المذكور في شهر آيار من العام الجاري.

وتأتي هذه التحديات جميعها بعد التدخل الروسي المباشر الذي غيّر قواعد اللعبة ، فضلاً عن وجود تنظيم داعش على الساحة السورية الذي غيّر من أولويات الغرب وأمريكا، وبالتالي يتنظر جماعة الرياض مهمة صعبة وشاقة تحيط بها الأشواك والعثرات من كل جانب

رابعا- توصيات ومقترحات

رغم الحال المأساوية التي كان يعانيها النظام في سورية خاصة عسكريا قبيل التدخل الروسي، إلا أنّ التدخل الروسي أعاد إليه الحياة وسحب منه في المقابل أوراق مهمة وكذلك من الإيرانيين.

وتشير تقارير إلى بدء إيران بسحب قوات الحرس الثوري من سورية للخلاف مع روسيا التي تريد من هذه القوات أن تخضع لقيادة النظام وبالتالي لقيادتها مباشرة .

من خلال ما تقّدم يمكن لحظ مستويين للعمل عليهما من أجل تحقيق أهداف مؤتمر الرياض بالوصول إلى حل سياسي في سورية يقصي الأسد وزمرته بحسب الوثيقة وهما :

١- على الصعيد الدولي والإقليمي

أ- الضغط على روسيا ومحاولة إقناعها التخلي عن الأسد لأنّ مصالحها ونفوذها لن يكون مضمونا في سورية في ظل وجود الأسد، وذلك عبر ضمان تنفيذ جميع الاتفاقات الاقتصادية والعسكرية التي أبرمتها مع نظام الأسد بعد رحيله دون تلك التي تخل بالسيادة الوطنية.

ب- العمل على إقناع دول الغرب وفي مقدمتهم أمريكا أنّه ليس بالإمكان لا بل من المستحيل توحيد قوى المعارضة مع الجيش السوري لمواجهة "تنظيم الدولة " في ظل بقاء الأسد وزمرته وأركان حكمه ورؤساء فروعه الأمنية والعسكرية، وأنّه لن يتمّ الحفاظ على مؤسسات الدولة إلا في رحيل الأسد.

ج- العمل على تشكيل حلف إقليمي واسع لدعم مؤتمر الرياض ووثيقته يمكن تسميته بحلف الرياض لحل الأزمة السورية بالطرق الدبلوماسية .

٢- على الصعيد المحلي

١- العمل على تشكيل مجلس داعم لهيئة التفاوض العليا من قبل جميع الهيئات المعارضة التي تمثلت فيها والتي لم تتمثل(المجلس الإسلامي السوري، هيئة الشام الإسلامية ، المجالس الثورية ، قوى المعارضة السياسية ، شخصيات وطنية مؤثرة).

ويقوم هذا المجلس بالعمل على ثلاثة مستويات وهي:

أ- فتح قنوات تفاوض وحوار مع "أي قوى معارضة رافضة للمؤتمر" وذلك لمنع أي اقتتال بيني بالوسائل كافة لأنّ ذلك لن يخدم إلا النظام وحلفائه.

ب- حشد التأييد الداخلي والخارجي لوثيقة الرياض عبر المؤتمرات والندوات والملتقيات الإعلامية والسياسية وعلى جميع المستويات (شعبية ، مراكز دراسات وأبحاث، دبلوماسيين ، مؤسسات مجتمع مدني ..الخ).

ج- اغتنام فرصة اجتماع الفصائل العسكرية في جسم سياسي واحد والعمل على تشكيل جيش وطني نظامي بغض النظر عن التسمية ، والضغط على الدول الداعمة في حصر الدعم العسكري في القيادة العسكرية الجديدة والواحدة.

خلاصة

بالتأكيد سيكون من الصعب جدا إقناع الروس ومن ورائهم الإيرانيين بعدم تعطيل مفاوضات الحكم الانتقالي التي وضعت وثيقة الرياض محدداتها ويبدو أنّ الصعوبة في ذلك تتأتى من ضعف صلابة الموقف الأمريكي المتذبذب، كل هذا يجعل احتمالات فشل تحقيق مؤتمر الرياض لأهدافه في حل سلمي في سورية أقرب، والتساؤل المطروح " طالما أنّ المآل قد يكون الفشل فلماذا لا تقوم الدول الداعمة بمّد المعارضة بالسلاح النوعي والمال ويكون الحسم العسكري هو الخيار والحل الوحيد؟.

وللإجابة عن ذلك يمكن الاستشهاد بما قاله الكاتب السعودي جمال خاشقجي في صحيفة الحياة :"علينا جميعاً المضي في مسار «جنيف» و «فيينا» و «نيويورك»، فحلفاؤنا ليسوا على قلب رجل واحد، وعلينا المضي في طريق الأشواك هذا حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ولعلّ مؤتمر الرياض ينطوي على محاسن كثيرة حتى وإن لم يكتب له النجاح ، الأمر الذي يتطلب المحافظة على هذه المحاسن وهي كما ذكرنا سالفا؛ انتاج جسم سياسي وعسكري واحد ومتفق على مبادئ مشتركة يمكن الاستفادة منه داخليا وخارجيا لضخ دم جديد في عروق الثورة السورية يعيد لها وهجها وتألقها.

المصادر والهوامش

١- تقرير للـBBC بعنوان نجاح مؤتمر الرياض فاق التوقعات
http://sabq.org/K4Ogde
٢- ارتفاع أعداد الهيئة العليا للتفاوض في مؤتمر الرياض - موقع السورية نت -/٢٠١٥/١٢/١١
٣- مبادئ الهيئة العامة للثورة السورية ٢٠١١/٨/١٨ -موسوعة ويكيبيديا-
٤- المبادئ الثورية الخمسة - مركز الشرق العربي -٢٠١٥/٩/١٩
رابط يوتيوب:https://www.youtube.com/watch?v=8hUpci09O8k
٥- وكالة الأناضول التركية ٢٠١٥/١٢/١٣ "إخوان سوريا" تعلن دعمها لمخرجات مؤتمر "الرياض".

٦- وكالة سانا للأنباء الناطقة باسم النظام السوري : قوى المعارضة الوطنية: تحرك السعودية في انعقاد مؤتمر الرياض وسط تجاهل أصوات الداخل انعكاس لتحركات منحازة وغير حيادية
http://www.sana.sy/?p=309804

7- موقع BBC- ٢٠١٥/١٢/١٣ : الجولاني : مؤتمر الرياض مؤامرة تسعى لإبقاء الأسد بالسلطة
http://www.bbc.com/arabic/multimedia/2015/12/151213_syria_nusar_condemned_riyadh_meeting

***- اللامركزية:** تنظيم إداري يعتبر واحداً من أهم مبادئ حكم الأكثرية التي تقوم عليها الديمقراطية وهو نقيض المركزية

ويرى المنظر السياسي هنري ماديك إن اللامركزية تتكون من مصطلحين: الأول هو التفكيكية ويقصد بها (تفويض الإدارة المركزية السلطات المناسبة إلى الادارات البعيدة عنها جغرافياً للقيام بمهام معينة عهدت بها إليهم)، والثاني هو التخويل ويقصد به (تخويل السلطات الدستورية المحلية الصلاحيات اللازمة للقيام بوظائف أو مهام معينة أوكلت إليهم)

انـتـهــى